الفصل السابع

النظام الصوتي للغة العربية

أولا : الأصوات اللغوية

عُني العربُ القدماءُ بدراسةِ الأصواتِ اللغويةِ، فكانوا من السبّاقينَ إلى الاهتمامِ بهذا المستوى من الدرسِ في بحثِهم اللغويِّ الذي اتسمَ بدقةِ الملاحظةِ وسلامةِ الحسِّ في تذوقِ الأصواتِ اللغويةِ[1].

وقد اعترفَ علماءُ الغربِ ببراعتِهم وتفوقِهم في مجالِ بحثِهم الصوتيِّ، وفي هذا المعنى قال برجسشراسر: «لم يسبقِ الغربيين في هذا العلمِ إلا قومان من أقوامِ الشرقِ، وهما الهنودُ والعربُ»[2]، وقال الأستاذُ كاردنر W. H. T. Gairdener في كتابِه«The Phonetics of ARABIC: P: 13-16»: «لقد سبقَ العلماءُ العربُ الأصواتيينَ المحدثينَ في تصنيفِ الأصواتِ حيثُ أشاروا إلى الأصواتِ الإسنانيةِ والحنكيةِ واللهويةِ واللثويةِ من الصوامتِ وقدموا ملاحظاتِهم المضبوطةَ عن المواقعِ الدقيقةِ للسانِ والحنكِ... »[3].

وكانتْ طبيعةُ الدراساتِ الصوتيةِ عند العربِ دراساتٍ وصفيةً مَثَلُها مثلُ الدراساتِ الصوتيةِ الحديثةِ التي تقومُ على استخلاصِ الحقائقِ وتصنيفِها ووضعِ

---

١. يُنْظَرُ: الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ١٧، علم اللغة العام الأصوات العربية: ٨٧، علم الأصوات العام: ١١٢.

٢. التطور النحوي للغة العربية: ١١.

٣. نقلاً عن: الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ١٧-١٨.

القواعدِ الخاصةِ بها عن طريقِ الملاحظةِ الذاتيةِ (Intraspection) أو التجربةِ الشخصيةِ أو الانطباعِ الذهنيِّ الناتجِ عن تلكَ التجربةِ في دراسةِ الأصواتِ[1].

وإذا ما عُدنا إلى الدراساتِ الصوتيةِ القديمةِ نجدُ الخليلَ بنَ أحمدَ من أكثرِ العارفينَ وأشهرِهم في الدراساتِ الصوتيةِ[2]، فأشارَ إلى أبعادِها ووضعَ يدَه على الأصولِ في انطلاقِ الأصواتِ من مخارجِها الدقيقةِ، وأفرغَ جهدَه في التماسِ التسمياتِ للمسمّياتِ وتمكن من استنباطِ طائفةٍ صالحةٍ من الأسرارِ الصوتيةِ، التي انتهى إليها من خلالِ وصفِه للأصواتِ لما يحسُّه بنفسِه من اختلافٍ في أعضاءِ النطقِ وما للعمليةِ العقليةِ التي يقومُ بها المرءُ من أثرٍ لدى صدورِ كلِّ صوتٍ[3].واستعمل الخليل كلمة «حرف» للدلالة على إرادة «صوت» منها، فكانت الأصوات عنده هي الحروف الذلق و الحروف الشفوية وحروف الحلق و حروف أقصى الحلق و الحروف الصحاح و الحروف الصم و حروف الجوف و حروف اللين و حروف ما بين عكدة اللسان و الحروف اللهوية والحروف الشجرية و الحروف الأسلية و الحروف النّطعية والحروف اللثوية وهو يريد بذلك، أصوات الذلاقة، وأصوات الشفة، وأصوات الحلق، وأصوات أسلة اللسان، ولا يكتفي بهذا حتى يسمي هذه الأصوات بالإضافة إلى مخارجها ومدارجها، ناظراً إلى هيئة المخرج من المدرج، وما يصطدم بها من أجهزة النطق أو يتجاوزها باندفاع الهواء، فيصفها في مثل النحو الآتي:

---

١. يُنْظَرُ: علم اللغة العام الأصوات العربية: ٢٦، الأصوات اللغوية: ٨٨، دروس في علم أصوات العربية: ١، في فقه اللغة وقضايا العربية: ٢٠.

٢. يُنْظَرُ: علم اللغة العام الأصوات العربية: ٧٧، المعجم العربي (حسين نصار.: ١:٢٨٠.

٣. يُنْظَرُ: الأصوات اللغوية: ٨٨، الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ٤٣.

مخـــارج الحـــروف

ت	الرقم	المخرج العام	المخارج	المخرج الخاص	الحروف
١.	١	**الحلق**	١	أقصىٰ الحلق أي آخره من جهة الصدر	ء – هـ
٢.			٢	وسط الحلق	ع – ح
٣.			٣	أدنىٰ الحلق أي اقربه إلىٰ الفم	غ – خ
٤.	٢.	**اللسان**	١	أقصىٰ اللسان قريباً من الحلق	ق
٥.			٢	أقصىٰ اللسان قريباً من جهة الفم	ك
٦.			٣	وسط اللسان	ج – ش – ي
٧.			٤	ظهر اللسان مع أصول الثنايا العليا	ت – ط – د
٨.			٥	ظهر اللسان مع أصول الثنايا العليا	ث – ظ – ذ
٩.			٦	طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا	ن
١٠.			٧	ظهر اللسان مع أصول الثنايا العليا قريباً من الظهر	ر
١١.			٨	رأس اللسان مع أصول الثنايا	ز – ص – س
١٢.			٩	حافة اللسان أي جانبه مع التصاقه بما يحاذيه من الأضراس العليا	ض
١٣.			١٠	حافة اللسان أي جانبه مع التصاقه بما يحاذيه من الأسنان	ل
١٤.	٣.	**الشفتان**	١	ما بين الشفتين	ب – م – و
١٥.			٢	الشفة السفلىٰ مع رؤوس الثنايا العليا	ف
١٦.	٤.	**الجوف**	١	الجوف	آ – و – ي
١٧.	٥.	**الأنف**	١	الخيشوم	الغنة

فأقصىٰ الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء، ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيّز واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين في حيّز واحد كلها حلقية، ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع، ثم الجيم والشين

والضاد في حيّز واحد، ثم الصاد والسين والزاي في حيّز واحد، ثم الطاء والدال والتاء في حيّز واحد، ثم الظاء والذال والثاء في حيّز واحد، ثم الراء واللام والنون في حيّز واحد ثم الفاء والباء والميم في حيّز واحد ثم الألف والواو والياء في حيّز واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيّز تنسب إلي[1]

وقد ورث سيبويه من شيخيه الخليل بن احمد علمه بأصوات العربية _الذي تمثل بمخارج الأصوات وصفاتها[2]_ وهذا ما نلحظه في كتابه، ولم يكتف سيبويه بتلك الملاحظات أو الخلاصات الصوتية التي دفع بها الخليل اليه، وانما أورد بعض المسائل الصوتية كـ«الادغام، والامالة، والاتباع الحركي والاعلال، والقلب، والابدال والهمز.. » وغير ذلك من صور تأثر الأصوات بعضها ببعض في عملية التشكيل الصوتي[3].

أعضاء النطق

١. الشفتان:

وهما من الأَعْضَاء المهمة في النطق نظرا لقابليتهما على الحركة والتكيف لبعض الأوضاع وبخاصة في حالتي الانفراج والانطباق[4].

٢. الأسنان:

وهي أعضاء النطق الثابتة ولها أهمية في نطق بعض الأصوات اللغوية فهي تساعد اللسان في نطق الدال والثاء والفاء، وتشارك

---

١. يُنْظَرُ: العين:٥٧:١-٥٨

٢. يُنْظَرُ: الأصوات اللغوية: ٨٨، أصالة علم الأصوات عند الخليل... ٢٣ – ٢٥، ٨٥.

٣. يُنْظَرُ: الكتاب:٤٣٤:٤ والأبحاث في أصوات العربية: ١١٣، الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ٥٣.

٤. يُنْظَرُ: علم اللغة العام:٧١.

اللسان أيضا في نطق الذال و الظاء[1].

٣. اللثة:

وهو تجويف يلي الأسنان إلى الفم وتساعد في نطق بعض الأصوات.

٤. الحنك:

وهو تجويف الفم، ويقسم على ثلاثة أقسام: مقدمة الحنك يعرف باللثة، و وسط الحنك يعرف بالغار(الحنك الصلب»، واقصى الحنك ويسمى بالحنك اللين.

٥. اللهاة:

وتكون في نهاية الحنك اللين، وتتضح أهميتها في نطق القاف.

٦. اللسان:

هو العضو الرئيس في عملية النطق، وهو على ثلاثة أقسام: طرفه وهو الجزء الذي يقابل اللثة، و وسطه الذي يقابل الحنك، واقصاه الذي يقابل الحنك الأقصى.

٧. القصبة الهوائية:

وهي قناة صوتية رابطة بين الحنجرة والرئتين، وتكون على شكل قصبة ذات حلقات غضروفية غير كاملة الاستدارة من الخلف.

٨. لسان المزمار:

هو تجويف له غطاء يحمي طريق التنفس اثناء عملية البلع، ومن الناحية اللغوية نجده قليل الأهمية فهو يتحرك مع مؤخرة اللسان الى الأمام والى الخلف، وفي هذه الحركة يؤثر في التساع الفراغ الذي يتمثل به[2].

---

١. يُنظَرُ: فقه اللغة للدكتور عبد الحسين مبارك:٨٠

٢. يُنظَرُ: محاضرات في فقه اللغة:٩٠

٩. الحلق:

تجويف يقع بين الحنجرة والفم

١٠. الحنجرة:

وهي عضو مكون من ثلاثة غضاريف الأول منها يكون ناقص الاستدارة والثاني يكون كامل الاستدارة، والثالث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني[١].

١١. الوتران الصوتيان:

وهما عضوان لهما القدرة على اتخاذ الوضع المناسب في الحنجرة لإصدار الذبذبات الصوتية أي ما يعرف بالنغمة الموسيقية، فعن طريق انفراجهما يحصل الهمس، وفي انطباقهما يحصل القطع والجهر.

١٢. الرئتان:

وهما عضوان إسفنجيان يقومان بوظيفة بيولوجية تتمثل باستبدال ثاني أوكسيد الكاربون بالأوكسجين من خلال عمليتي الشهيق والزفير، وتنحصر وظيفتهما اللغوية في دفع الهواء إلى الخارج مارا بالأَعْضَاء الصوتية، ونتيجة عملية الاحتكاك بين الهواء الصاعد من الرئتين وتلك الأَعْضَاء يحدث الصوت اللغوي[٢].

---

١. يُنْظَرُ: الأصوات اللغوية:١٧.

٢. يُنْظَرُ: محاضرات في فقه اللغة:٨٦

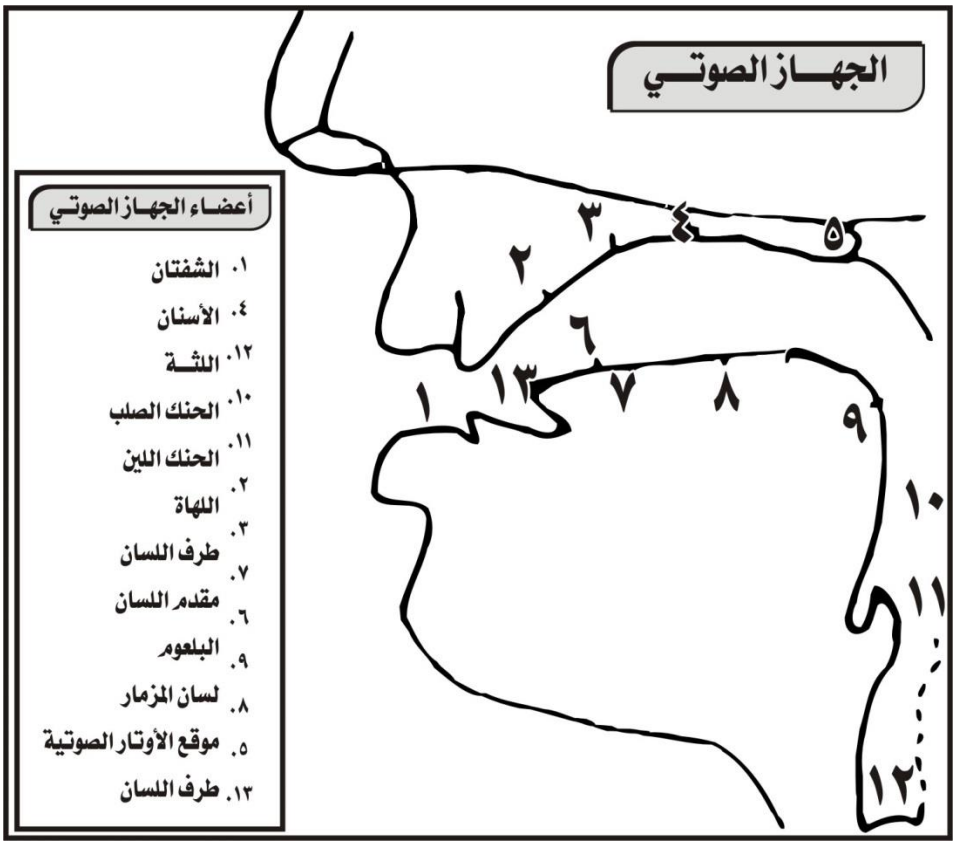

صفات الأصوات

- **الجهـــر والهمـــس**

يحدث الجهر بالصوت حينما تقترب الأوتار الصوتية بعضها من بعض حد التلاصق أثناء مرور الهواء، ونظر لضيق مجرى الهواء تحصل تلك الذبذبات الصوتية التي يولد منها الصوت المجهور[1].

أما الهمس فهو تباعد الوترين الصوتيين أثناء عملية مرور الهواء دون ادنى ذبذبة فيهما والصوت إلى يولد من عملية خروج الهواء من الرئتين بتلك الطريق يسمى

١. يُنْظَرُ: علم اللغة العام:٧١

بالصوت المهموس، والأصوات المهموسة هي: الهاء والحاء والثاء والشين والصاد و التاء والسين والكاف والفاء والخاء وعددها عشرة أصوات يجمعها قول(حثه شخص فسكت»، وباقي الأصوات في المجهورة وعددها تسعة عشر صوتا[1].

- **الشـــدة والرخـــاوة:**

مفهوم الشدة هو انحسار الصوت أو انحباسه حال النطق بالصوت لتمام قوته ومن حروفه «أ، ب، ت، ج، د، ط، ق، ك»، أما الرخاوة فهو على العكس من ذلك و الذي يجري فيه الصوت[2].

- **التوسط بين الشدة والرخاوة:**

وهي الأصوات التي تجمع بين الشدة والرخاوة في صفاتها، ومن هذه الأصوات «الألف و العين و الياء واللام والنون والراء والواو والميم» ويمكن جمعها بعبارة: لم يرو عنا.

- **الإطباق و الانفتاح:**

وي الحالة التي ينصر فيها الصوت بين اللسان والحنك الأعلى، وهو رفع اللسان إلى الحنك الأعلى مطبقا له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد عن الكلام لأنه ليس من موضعها شيء غيرها فتزول الضاد اذا عدمت الإطباق إليه[3]، فهو نوع من الاستعلاء الذي يرتفع اقصى اللسان به إلى ما يلي الحنك ومن أصواته «الضاد والصاد والظاء والطاء»، أما الانفتاح فيراد به جريان النفس لعدم إطباق اللسان، وحروفه هي الخمسة والعشرون الباقية.

- **الذلاقة والصمت أو الإصمات:**

سميت مجموعة من الأصوات بهذه التسمية كونها تخرج من ذلق اللسان وهي ستَّةٌ احرف ثلاثة منها تخرج من ذلق اللسان من طرف الغار«اللام و الراء والنون»

---

١. يُنْظَرُ: سر صناعة الإعراب:١: ٦٨-٦٩.

٢. يُنْظَرُ: المصد نفسه:١:٧٠

٣. المصدر نفسه:١:٧٠ -٧١.

والباقي من طرف غار الفم وهي«الفاء والباء والميم» ومخرجها بين الشفتين[1].

- **الاستعلاء والانخفاض:**

الاستعلاء هو خروج الصوت من اعلى الفم أي أن تصعد في الحنك الأعلى وأصواته «الخاء والصَّاد والضَّاد والطَّاء والظَّاء والغين والقاف»، أما الانخفاض أو الاستفال فهو خروج الصوت من اسفل الفم وأصواته ما بقي من الأصوات[2].

- **الصفير:**

هو حالة في الصوت الرخو«الصاد والسين والزاء» الذي يخرج من بين الثنايا وطرف اللسان ويحث صفيرا، كونها تنسل انسلالا[3].

- **لقلقلة:**

وهي اضطراب الصوت عند النطق به كونه ساكنا فحرك، ومن تلك الأصوات «القاف والباء والجيم والطاء والدال»[4].

- **اللين:**

وتسمى أصوات المد كون الهواء لا يعترضه أي عارض أثناء عملية النطق بها في الفم أو في الحلق وقيل احتملت تلك الأصوات «الألف والواو والياء فضلا عن الحركات الثلاثة» لأنها سواكن فتسعت مخارجها حتى جرى الصوت فيها[5].

- **التفشي:**

يراد به تفشي صوت الشين بانتشار النفس في الفم عند النطق به[6].

- **الاستطالة:**

وهي مد الصوت بالضاد في أول حافة اللسان إلى آخرها[7].

---

١. يُنْظَرُ: معجم العين:١:٥١.

٢. يُنْظَرُ: سر صناعة الاعراب:١:٧٢

٣. يُنْظَرُ: في البحث الصوتي عند العرب:٥٨.

٤. يُنْظَرُ: سر صناعة الإعراب: ١:٧٣.

٥. المصدر نفسه:١:١٩

٦. يُنْظَرُ: دراسات في فقه اللغة:٢٨٣.

٧. المصدر نفسه:٢٨٣

- **التكرار:**

وهو ما يصحب صوت الراء عند استرخاء اللسان عند النطق به[1].

- **الغنة:**

وهي خروج الصوت من الخيشوم عن النطق بالميم والنون والتنوين.

- **الهاوي والمهتوت:**

الصوت الهاوي مختص بصوت الألف دون غيره كونه اعلى مراتب الانطلاق في أصوات اللين، أما المهتوت هو الضعف والخفاء في صوت الهاء[2].

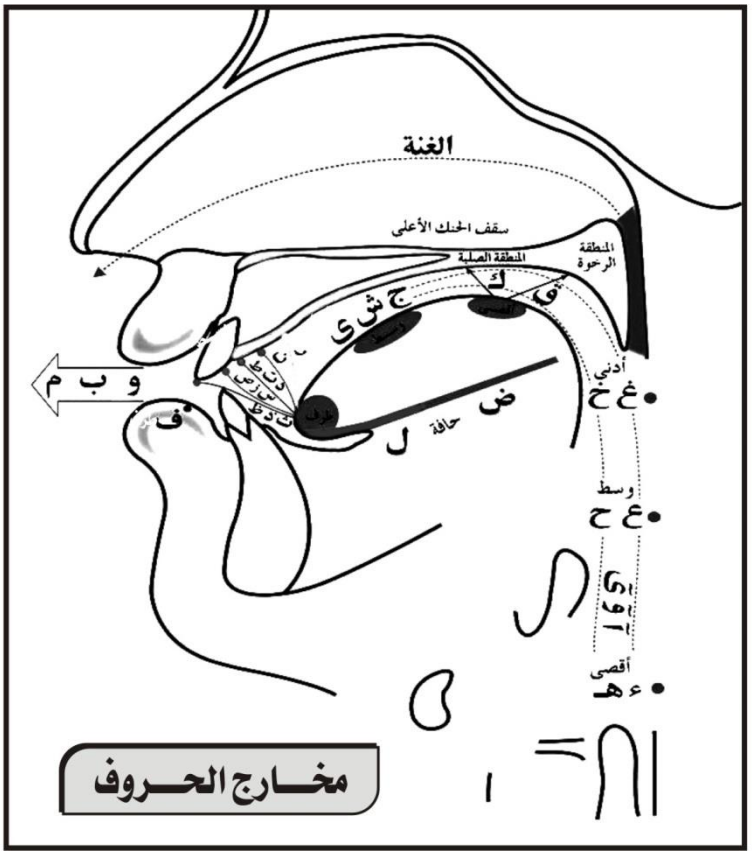

١. يُنْظَرُ: علم اللغة العام:١٢٩.

٢. يُنْظَرُ: سر صناعة الاعراب:١:٧٤.

صفـــات الحـــروف

ت	الصفة	التعريف	الحروف
١.	الهمس	جريـان الـنفس عنـد النطـق بـالحرف لضعف الاعتماد على المخرج	فحثه شخص سكت
٢.	الجهر	انحبـاس جـري الـنفس عنـد النطـق بحروفه لقوة الاعتماد على المخرج	الباقي بعد الهمس
٣.	الشدة	انحبـاس جـري الـنفس عنـد النطـق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج	أجد قط بكت
٤.	التوسط	اعتماد الصـوت عنـد النطـق بـالحرف لعـدم كـمال انحباسـه كـما في الشـدة، وعدم كمال جريانه كما في الرخاوة	لن عمر
٥.	الرخاوة	جريان الصوت مـع الحـرف لضـعف الاعتماد على المخرج	ماعـدا حـروف التوسـط والشدة
٦.	الاستعلاء	ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعـلى عنـد النطق بالحرف	خص ضغط قظ
٧.	الاستفال	انخفـاض اللسـان «انحطاطـه عـن الحنك الأعلى إلى قاع الفم»	الباقي بعد الاستعلاء
٨.	الإطباق	تلاصق ما يحاذي اللسـان مـن الحنـك الأعلى على اللسان	ص – ض – ط – ظ
٩.	الانفتاح	تجافي كل من طائفتي اللسان والحنـك الأعـلى عـن الأخـرى حتـى يخـرج النفس.	ماعدا حروف الإطباق
١٠.	المد واللين	امتداد الصوت وخروج الحرف في لين وعدم كلفة.	أ – و – ي
١١.	الصفير	حدة الصوت.	ص – س–ز
١٢.	التفشي	انتشار خروج الريح وانبساطه.	ش – «ث على خلاف»

١٣.	الاستطالة	امتداد الصوت من أول إحدىٰ حافتي اللسان إلىٰ آخرها.	ض
١٤.	التكرير	تضعيف يوجد في جسم الراء لارتعاد طرف اللسان بها.	ر
١٥.	الانحراف	خروج من صفة إلىٰ صفة.	ل – ر
١٦.	الغنة	صفة لازمة للنون والميم «وهو الصوت الزائد المنبعث من الخيشوم»	م – ن
١٧.	القلقلة	اضطراب المخرج عند النطق بالحرف ساكناً حتىٰ يسمع له نبرة قوية	قطب جد «أو» بجد قط
١٨.	النفخ	صوت حادث عند خروج حرفه لضغط عن موضعه وهو دون القلقلة	ظ – ز – ض – ذ

الظواهر الصوتية في اللغة العربية

- **الوقــف**

يُطلَقُ هذا المصطلحُ علىٰ قطعِ الكلمة عمّا بعدها صوتياً، ويكونُ دالاًّ علىٰ نهاية التعبير، من خلال قطعِ الكلمة، أي أنْ تسكتَ علىٰ آخرِها قاصداً لذلك مختاراً لجعلِها آخرَ الكلام، سواءٌ كانت بعدها كلمةٌ أو كانت آخرَ الكلام[1].

- **الهمزُ:**

ظاهرةٌ صوتيةٌ اتصفتْ بها اللغةُ العربيةُ الفُصحىٰ فضلاً عن اللهجاتِ العربية الحديثة، إذْ نَجِدُ مِنَ العَرَبِ مَنْ يؤثرُ الهَمزَ فِي كَلَامِهِ عَلىٰ الرَّغمِ مِن صُعوبةِ النّطق بصوت الهمزة، لأنّه صوتٌ عسيرُ النطق، إذ يتمُّ انحباسُ الهواء خلفَ الأوتار الصوتية ثم انفراجُ هذه الأوتار فجأة وهذه العمليةُ تحتاج إلىٰ جهدٍ عضليٍّ كبيرٍ في

١. يُنْظَرُ: شرح الشافية: ٢:٣٧٨، الوقف في العربية: ١٤ – ١٥.

عملية النطق تزيدُ على ما يحتاجُ إليهِ أيُّ صوتٍ آخر[1].

وقد نَسبت الرواياتُ اللغويةُ ظاهرةَ تحقيق الهمز إلى تميمٍ وغيرهم من قبائلِ وسط الجزيرة وشرقيِّها كما نُسب التخفيفُ والتخلصُ من الهمزِ إلى البيئةِ الحجازية.

- **الإدغـــامُ:**

ظاهرةٌ صوتية وهو نوعٌ من أنواعِ التأثر الحاصلِ بين صـوتين متماثلـين متقـاربين متجاورين، أي هو تقريبُ صوتٍ من صوتٍ[2]، إذ تأتي بحرفين ساكنٍ فمتحركٍ مـن مخرجٍ واحد مـن دون فصـلٍ، ويكـون في المثلـين والمتقـاربين[3] ولا يكـونُ إدغـامٌ في المتقاربين إلاّ بعد جعلِهما متماثلين كلَّ المماثلة، لأنّ الإدغامَ إخراجُ الحرفين من مخـرج واحد دفعةً واحدة باعتمادٍ تامٍّ ولا يمكن إخراج المتقاربين من مخرج واحد، لأنّ لكلِّ حرفٍ مخرجاً على حدة[4]، وقد يترتبُ على تجاورِ صـوتين متجانسـين أو متقـاربين أنّ أحدهما يفنى في الآخر[5].

- **القَلْبِ**

يتمثلُ هذا المصطلحُ الصوتيُّ بقلبِ بعض الأصواتِ اللغوية إلى أصـوات بعينِهـا نتيجةَ التماثلِ الصوتيِّ بين الصوامتِ المتجـاورةِ، أو نتيجـةَ تأثرِهـا بالمصـوّتاتِ التـي تكونُ قبلها وخاصةً في أصواتِ العلة التي تُقْلَبُ دائـماً إلى الصـوتِ الـذي هـو مـن جنسِ المصوّت القصير.

---

١. يُنْظَرُ: الأصوات اللغوية:٧٨، والتطور اللغوي «قانون السهولة والتيسير د. رمضان عبد التواب: مجلة مجمع اللغة العربية ج«٣٦. ١٩٧٥، التَّطور اللغوي د. رمضان: «٧٦.، علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية: ١١٧-١١٨، يُنْظَرُ: التَّنغيم اللغوي في القرآن الكريم: ١١٤، ١١٨.

٢. يُنْظَرُ: الخصائص: ١:٤٩٥.

٣. يُنْظَرُ: شرح الشافية: ٣:١٦٠، إيجاز التعريف في علم التصريف:١٧٢، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية:٢٣٥-٢٣٦.

٤. يُنْظَرُ: شرح الشافية: ٣:١٦١، والتَّصريف العربي: ٦٥.

٥. يُنْظَرُ: الأصوات اللغوية: ١٥١.

- **الإبـدال**

تتمثلُ هذه الظاهرةُ عند القدماء بإقامةِ حرفً مقامَ حرف أو تعويضِه إما ضرورةً وإما صنعةً واستحساناً أو أنْ تجعلَ حرفاً مكانَ حرفٍ آخرَ مطلقاً مع الإبقاءِ على سائرِ أحرفِ الكلمةِ[1]، ويكونُ ذلك الأثرُ الصوتيُّ نتيجةَ التماثلِ الصوتيِّ بين الحروفِ التي هي من مخرجٍ واحد أو مخارجَ متقاربةٍ، إذ يحصلُ الإبدالُ بين أحرفِ كلِّ مخرج وبين مخارجَ مختلفة متقاربة الأقربَ فالأقربَ[2]، من حيثُ نشأة الصوتِ من جهاز النطق أو ما يشتملُ عليه من خواصّ صوتيةٍ تقرّبه منه[3].

وعالج المحدثون هذه الظاهرةَ في إطار مفهوم المماثلةِ الذي يُعنى بدراسةِ التبدلاتِ التكيفية للصوت بسبب مجاورتِه للأصواتِ الأخرى[4].

- **الإمالـة**

الإمـالة مصطلحٌ صوتيٌّ مشتركٌ واقعٌ في الأسماءِ والأفعالِ، لتقريبِ الصوتِ من الصوتِ[5]، وهو نطقُ الألفِ في حالاتٍ لغويةٍ محددةٍ نطقاً خاصاً قريباً من نطقِ الياءِ بأنْ تنحوَ بالألفِ نحوَ الكسرةِ، فتميلَ الألفُ نحو الياءِ بتجانسِ الصوتِ[6]ولا يكونُ ذلك إلا لعلةٍ[7]، أو هو تقريبُ الفتحةِ من الكسرةِ وأنْ يُنحى بالفتحةِ نحو الكسرةِ[8]

---

١. يُنْظَرُ: الصاحبي في فقهِ اللغةِ:١٧٣، شرح الشافية: ٣:١٣٤، ويُنْظَرُ: التطور اللغوي التاريخي:١١٠.

٢. يُنْظَرُ: الفلسفة اللغوية:٦٠، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:٩٨.

٣. التطور اللغوي التاريخي:١١٠.

٤. يُنْظَرُ: في فقه اللغة وقضايا العربية:٤٧، ويُنْظَرُ: مصطلح الإبدال عند المحدثين في المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء:١٦٩-١٧٠، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية:٢٣٠-٢٣١

٥. يُنْظَرُ: الخصائص: ١:٤٩٥.

٦. يُنْظَرُ: الكتاب: ٤:١١٧، المفصل: ٤٧١، شرح المفصل: ٩:٥٣.

٧. يُنْظَرُ: المقتضب: ١:٤٢.

٨. يُنْظَرُ: سر صناعة الإعراب: ١:٦٧.

قصْدَ مناسبةِ الكسرةِ أو الياءِ، أو تكونُ الألفُ منقلبةً من مكسورٍ أو ياءٍ[1].

ثانياً: ظاهرة الإعراب في لغة العرب

إنَّ النظر في طبيعة هذه الظاهرة اللغوية والبحث في خصائص اللغات العروبية، يفصح للقارئ العربي أن الإعراب ليستْ سمة من سمات اللغة العربية دون سواها من اللغات العروبية، فضلاً عن ذلك أنَّ هذه الظاهرة لا يمن توظيفها في كشف الخصائص اللغوية أو بيان مميزاتها في لغة ما بمعزلٍ عن باقي اللغات، كونها هي سمة من قبيل تلك السمات المشتركة بين تلك اللغات، لذلك لا يمكن لنا دراسة ظاهرة الإعراب في اللغة العربية بمعزلٍ عن شقيقاتها العروبيات، علَّنا نستثمر بعض الاستعمالات أو الإشارات الصوتية في تلك اللغات لبيان مقصدٍ ما، وتفسير ما كان غامضا، أو تقريب ما كان غائباً بعيداً عن ذهن القارئ.

وقبل الشروع في ماهية هذا البحث نودُّ أن نتساءل عن موقع هذه الحركات «علامات الإعراب» في النظام اللغوي، بمعنى هل الحركات الإعرابية مختصة بالنظام النحوي؟ وهل طبيعة عملها تصويب المقولات اللغوية والإعراب عن المعنى؟ وماذا نسمي الحركات الموجودة في بنية الكلمة؟ إذا ما علمنا أن وظيفة تلك الحركات هي الأخرى تعرب عن دلالة مغايرة للمبنى الواحد. ثم إذا كان الإعراب والمعنى متجاذبين، بحيث هذا يدعوك إلى أمر، والآخر يمنعك منه، فأيهما أنت ممسك؟ ثم ما علاقة العلامة الإعرابية بما سقط من التركيب؟

إنَّ الإجابة عن تلك التساؤلات تستدعي من الباحث النظر في اصل تلك الظاهرة ومكان وجودها من التركيب في اللغات العروبية، ثم التدرج بالبحث عنها وصولاً إلى اللغة العربية، وبيان الخفيِّ منها، بغية إيضاحه للقارئ سواء في النص المكتوب أو في النص المنطوق.

---

١. يُنْظَرُ: شرح الشافية: ٣:٧.

إن النظر في طبيعة اللغات العروبية من حيث المظاهر اللغوية التي وصلتنا عن طريق البحوث والدراسات التي عنيت بالفرع السامي، يلحظ أنها قد شكلتْ منظومةً لغويةً متكاملة، وهذا ما أفصحت عنه خصائصها اللغوية المشتركة التي ترشحتْ عنها من خلال النصوص اللغوية المتمثلة بالنقوش والكتابات المقطعية القديمة، إذ أخذت كلُّ لغةٍ من مجموع هذه الأرومة نصيبها من تلك الثروة اللغوية التي عزاها بعض الباحثين[1] إلى اللغة العروبية الأولى«اللغة الأم»، لذا نجد أنَّ العروبيين «العرب»[2] قد اسهموا في تطوير النمط اللغوي العروبي القديم، والحفاظ على حال الأصوات العروبية الأولى وما ترشح عنها من صوائت في زمن متأخرٍ بالنسبة إلى تاريخ تلك اللغات، فاحتفظت بالحالات الإعرابية الثلاثة القديمة «الرفع، و النصب، و الجر» وهذا ما تمثلت به ابتداء اللغة الآكدية، إذ وصلتنا بعض الروايات التي أفصحت عن حالات الاسم في الرفع والنصب والجر، وقد ظهرت تلك الحالات من خلال النقوش التي دونت عن طريق الكتابة المقطعية وبالقلم المسماري، إذ يطابق هذا الأمر حالات الإعراب في اللغة العربية، يقولون:kalbu في حالة الرفع، وkalba في حالة النصب، وkalbi في حالة الجر، ثم جيء بالتمويم مقابلاً للتنوين يقولون:kalbum، ولاينتهي الأمر عند هذا الحد في الاسم المفرد بل جعلوا علامات إعراب للاسم المجموع في حالاته الثلاث، قالوا:kalbuu في حالة الرفع ويكون ذلك بتطويل حركة الصَّائت بعد إسقاط التَّمويم من الاسم، أو

---

١. يُنْظَرُ: رأي الدكتور نجيب البهبيتي في المعلقة العربية الاولى:١:٦٠، ٥٨

٢. قيل أن العرب القدماء عرفوا بالعرب لان لسانهم عربي، وروي عن النبي ص انه قال: «خمسة أنبياء من العرب وهم:محمد و اسماعيل وشعيب وصالح و هود. .وان هذه الرواية تدل على ان اللسان العربي قديم، وهؤلاء الانبياء عرب وكانوا يسكنون بلاد العرب. ونلحظ ان سلسلة الرجال بين سام و هود: قيل ان هود(ع) هو ابن شالح بن ارفخشد بن سام. وعن ابن عباس: ان هودا اول من نطق بالعربية. مساكن قوم هود، كانت مساكن عاد ارض الاحقاف أي في شمال الربع الخالي، وهذا ما يتسق مع ما ذهب اليه بعض الباحثين في تحديد البيئة الجغرافية التي انطلقت منها الجماعات السامية فضلا عن التماثل اللغوي الدي يرجع إلى اصل لغوي هو اقرب إلى اللسان العربي.

بإضافة اللاحقة للاسم«anu» في حالة الرفع«sharranu»، أما في حالتي النصب والجر فتضاف اللاحقة «ane»[1] ومن خلال هذه الأمثلة لا يمكن للباحث أن يتبين الوظيفة اللغوية من تلك العلامات، أي هل لها اثرٌ في بيان دلالة العبارة، أم هي ظاهرة صوتية الغرض منها تماسك الكلمات وتساقها؟

وبما أن اللغات العروبية قد اثَّر بعضها ببعض في كثيرٍ من الظواهر اللغوية إلا أن اللغة الاوغاريتية التي جاءت في أعقاب اللغة الاكدية، أو كانت مصاحبة لها قبل أفول نجمها، ومع هذا التقارب لم يلحظ أيَّ وجودٍ لظاهرة الإعراب في هذه اللغة، على الرغم من أنها اللغة العروبية الأقرب إلى اللغة العربية بنظامها الصوتي والأبجدي، وهذا ما جعل كتابتها تقوم على الصوامت فقط[2] فالملاحظ على هذه القراءة أنها تعتمد على النصوص المكتوبة وهذا يعني أن علامات الإعراب لا علاقة لها بسلامة التركيب في ذلك الوقت أو الكشف وبيان المعاني والدلالات.

وإذما تتبعنا تلك المسيرة اللغوية في البحث عن جذور هذه الظاهرة نجد أن اللغة الفينيقية قد استعملت أصوات الحلق «في اللهجة البونية الحديثة» لتصبح وسيلةً لكتابة الحركات القصيرة، كونها لا تمثل أيَّ وظيفة لغوية، لذلك دونت هذه الحركات داخل الكلمات[3] وهذا ما سنوظفه في بيان علاقة الحركات داخل المباني الصرفية و ظاهرة الإعراب- وربما هذا العمل في اللغة الفينيقية يسهم في كيفية نطق الكلمة كما هو الحال في لغة العرب، لان طبيعة هذا التدوين لتلك الحركات يشعر بوجود تمايز لغوي دلالي بين الكلمات، أو بالأحرى بين تصاريف الكلمة الواحدة.

أما في اللغة العبرية فقد استملت علامات الإعراب للمساعدة في ضبط النطق وحفظ الكلمات من التحريف[4]، وكان هذا الأمر في المرحلة الثانية من تاريخ اللغة

---

١. يُنْظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية، سعيد الاحمد:١٦

٢. يُنْظَرُ: علم اللغة العربية مدخا تأريخي مقارن، د. محمود فهمي حجازي، دار غريب، القاهرة،:١٦٠

٣. يُنْظَرُ: المصدر نفسه:١٦٣.

٤. يُنْظَرُ: المدخل إلى دراسة اللغات الجزرية:٦٨.

العبرية، إذ تأثر رجال الماسورا الذين يُعنون بالنص العبري القديم بطريقة النساطرة المسيح في ضبط الحركات[1].

إنَّ الملاحظ على تلك اللغات أنها استعملتْ تلك العلامات في نصِّها المكتوب، دون إشارة من الباحث في تاريخ تلك اللغات إلى طبيعة النص المنطوق.

أما اللغة الآرامية ولاسيما «اللهجة النبطية» فيُعتقد أنَّ الأنباط استعملوا الواو والضمة للرفع والكسرة للجر والفتحة للنصب، دون أن يُرفقوا الحركات بحرف النون كونه حرف رفعٍ أو باقي العلامات الأخر[2].

وبعد هذا العرض، نجد بعض الباحثين من يعتقد بأن اللغات العروبية، وعلى الرغم من كونها تتماثل في النظم والقواعد الصوتية، قد اعتمدت الأصوات الصامتة دون الأصوات المتحركة في نهاية الكلمات، والقول بأنها اعتمدت هذه الحركات في عصور متأخرةٍ غير دقيق[3]، كون اللغة الاكدية قد استعملت تلك العلامات فضلاً عن الفينيقية التي استوعبت تلك الحركات في داخل المباني الصرفية ومن هنا جاء هذا الأثر الصوتي إلى اللغة العربية، لكن بعضَ الباحثين يرى أن ظاهرة الإعراب وحركاتها أنها بقايا ضمائر وأدواتٍ إشارية، وأما ظاهرة التنوين في اللغة العربية التي تقابل التمويم قيل فيها أن العربي لَمَّا اقرَّ لُغته في اللفظية «وهنا الحديث عن الجوانب النطقية للغة لا الكتابي» قد استوى منطقه على اشده كرهِ الصوتية في الحركات الإعرابية التي يقتضي مدُّها عند الوقف عليها ظاهرةً، فقطع المدَّ بالتنوين، وقد ظهرتْ محاولته هذه في تنوين الترنم[4]، ومن مثيل ذلك قول الشاعر:

---

١. يُنْظَرُ: علم اللغة العربية:١٦٨.

2.the nolde ck die seitischen sprachen cleipzig 1199 pp:51 fp

٣. يُنْظَرُ: قول الدُّكتور هادي نهر في الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها، ط«٢. دار الامل، ٢٠٠٥م:١٣٥

٤. يُنْظَرُ: المقدمة لدرس لغة العرب، للشيخ عبدالله العلايلي، الطبعة «٢. دار الجديد، بيروت، ١٩٩٧،:٣٥٨.

«اقلي اللَّوم عاذلَ والعتابن»[1]

وبعد هذا العرض آن الأوان لبيان موقع هذه العلامات من المباني والتراكيب سواء في النص المكتوب أو النُّطوق، قال ابن جني في حده للإعراب «هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ»[2]، أن هذا القول يقودنا إلى امرين: الأول: جعل العلامة الإعرابية جزءاً من تركيبة الكلمة سواءُ في فاء الكلمة كما هو الحال في التميِّز بين كَتَبَ المبني للمعلوم وكُتِبَ المبني للمجهول وكذلك في الاسم المفرد والمجموع «أَسد، أُسُدُ» وفي المصدر والفعل «فَرَحَ، فَرِحَ» أو في الأسماء كـ: بِر «الإحسان» و بَر «الأرض» و بُر «القمح أو في عين الكلمة كاسمي الفاعل والمفعول في حال اشتقاقهما من الفعل الرباعي، يقال: مُفْعِل ومُفْعَل، أو في نهاية الكلمة كهيهاتَ وهيهاتِ، وعلَّ هذا الأمر يقودنا إلى ما كان موجوداً في اللغة الفينيقية، كون هذه الحركات أماراتٍ ورسومٍ تبين ما كان مختلفاً من المباني الصرفية ذات المادة اللغوية الواحدة.

والثَّاني: أنه كنىٰ عن الحركات بالألفاظ، وبالتالي يتطابق هذا التحديد مع ما جاء به الزجاجي كون أن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافا اليها ولم تكن في صورها و أبنيتها أدلة علىٰ هذه المعاني بل كانت مشتركة جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني[3]، وقيل إن الإعراب هو الإبانة عن معنىٰ جديدٍ أو حالٍ انتقل اليها الشيء[4]، أو كونه نتاج صوتي يكون في أواخر الكلم سببه الترابط العضوي للعوامل النحوية بالمعمولات في تركيبهما[5].

في حقيقة الأمر لا نريد أنْ نَسْتَبِق نتائج الدِّراسة لهذه الظاهرة، لكن النظر في

---

١. يُنْظَرُ: الشاهد الكتابُ لابي بشر بن عمرو عثمان بن قنبر(١٨٠.هـ، تحقيق:عبد السلام هارون، عالم الكتب بيروت: ٤:٢٠٨. ويُنْظَرُ: شرح أبيات سيبويه: ٢:٣٤٩.

٢. الخصائص: الخصائص، لأبىٰ فتح عثمان بن جني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط«٢.، لسنة ١٤٠٤-٢٠٠٣، ١:٨٩

٣. يُنْظَرُ: الايضاح في علل النحو:٦٩-٧٠.

٤ يُنْظَرُ: دلالة الاعراب:٢١.

٥. يُنْظَرُ: الامالي الشجرية:١:٢٤.

تكوين وصناعة النص المنطوق تجعل من وظيفة هذه الظاهرة منوطةً بعامل التوافق الصوتي، كون العملية الابلاغية «التمثيل الصوتي» تكون بعد مرحلة نتاج وتحديد المعنى لان هذه الرموز الصوتية تكون ألفاظاً دالةً على ما تقرر ابتداء في البنية العميقة أو ما يعرف بالبنية الضحلة، وما لأهمية تلك الألفاظ عند العرب لذا أصلحوها وحسنوها وهذَّبوها وصقلوا عروبها، «أطرافها» وجاءت عنايتهم بالألفاظ كونها عندهم خدم للمعاني وتنويه بها وتشريف منها[1].

لكن الباحث في التراث اللغوي والى جانب تلك الدلائل التي تسهم في الكشف عن حقيقة وطبيعة ظاهرة الإعراب، يلحظ أن النحويين جعلوا من الإعراب نظرية كاملة عرفت بنظرية العامل وتكلموا عن الحركات، وجعلوها دليلاً على المعاني(٢، مع أنهم انفسهم لم يجوزوا أن تدخل دلالة على دلالةٍ أخرى، كون الألفاظ في مباحثهم اللغوية تدلُّ على المعاني، والإعراب كمفهوم لغوي وفي ضوء الحد الذي قال به القدماء هو الأخر يكون دالاً على المعاني، وإن أوجدوا لهذا الأمرِ تعليلاً، فلاحظ العلاقة بين الألفاظ والحركات في الدلالة على المعاني:

قولنا:«يا رجلاً» الكلمة اصلٌ في التركيب لكن ثمة تناقضا في الحركة «حركة نصب» كونها «تدل على الفضلة»، وكذلك قولنا: يا رجلٌ«الكلمة اصل في التركيب «تناقض في الحركة» حركة بناء «في موضع نصب»، و قولنا: يا غلامَ زيدٍ «الكلمة اصل في التركيب» «تناقض في الحركة» حركة نصب «تدل على الفضلة»، وقولنا: لم يضرب «الفعل اصل في التركيب» «تطابق المعنى مع الحركة» السكون «انقطاع الحركة لا معنى»، وقولنا: لن يقوموا «الفعل اصل في التركيب» «تطابق» حذف الحرف علامة على الإعراب، وقولنا: يقومون «الفعل اصل في التركيب» «تطابق» ثبوت النون، لا يدل على معنى في هذه الحال.

وبعد هذا العرض يحق لنا أن نسأل: ما هو السبيل إلى معرفة دلالة الإعراب

---

١. يُنْظَرُ: الخصائص:١:٢٣٨.

٢. يُنْظَرُ: اللغة العربية معناها ومبناها:٢٠٥.

عندما تكون دلالة الحركة الإعرابية صفراً، إذا ما قارنا ذلك بقولهم إن الإعراب عبارة عن معنىٰ يحلُّ بالحركات والحروف، والعلامة هنا هي السكون وحذف الحرف وسقوطه من الكلمة فـ«الدلالة صفر»، وكثيرا ما يكون ذلك في النص المنطوق، أي أنك تلحظ في حديث من يخشىٰ الوقوع في اللحن يلجأ إلىٰ تسكين أواخر المباني.

وهذا يدفعنا إلىٰ القول بان الكلام لم يعرب للدلالة علىٰ المعاني، لان الكلام في هذه الحال صار ذا هيأة ما عن طريق المعاني، وعلامات الإعراب في حقيقة الأمر هي عناصر صوتية حادثة في مرحلة ما بعد التلفظ بالمباني كون الكلام في أوله شرجاً مع ربط قصد المتكلم به، أي الافتراض في ذهن المتكلم وغير المصرح به في القول[1]، والذي يؤيد هذا المعنىٰ هو عدم تمكن العلامة الإعرابية من أن تحد من الانحراف أو عدو التلاؤم بين المعاني، إذ لابد من وجود تلاؤم دلالي بين المباني التي تشكل منها التركيب، ولا دخل لعلامات الإعراب في عملية السبك وتلاقح المباني[2]، نلحظ هذا النص القرآني الذي يفصح عن التجاذب بين المعنىٰ والإعراب، قال تعالىٰ: «إنه علىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ، يومَ تُبلىٰ السَّرائِرُ»الطارق:٨-٩. قيل فالمعنىٰ في هذا «إنه علىٰ رجعه يوم تبلىٰ السرائر لقادر»[3]، وقيل في «يوم تبلىٰ السرائر» أوجه، الأول: هو معمول «قادر»، والثاني «علىٰ التبيين، أي: يُرجع يومَ تُبلىٰ»، والثالث: «تقديره: اذكر، ولا يجوز أن يعمل فيه «رجعه» للفصل بينهما بالخبر، وقيل«الهاء) في «رجعه» للماء أيٌ: قادرٌ علىٰ ردِّ الماء في الإحليل أو في الصُّلب، فعلىٰ هذا يكون منقطعاً عن قوله تعالىٰ: «يوم تبلىٰ السرائر» فيعمل فيه «اذكر[4]، ويرىٰ أبن جني إذا «حملته علىٰ في الإعراب علىٰ «إنه علىٰ رجعه يوم تبلىٰ السرائر» كان خطأً، لفصلك بين الظرف الذي هو «يوم تبلىٰ» وبين ما

---

١. يُنْظَرُ: اللسانية التحويلية:٧٩.

٢. يُنْظَرُ: المصدر نفسه:٥٦.

٣. يُنْظَرُ: الخصائص:٢:٤٥٩.

٤. يُنْظَرُ: التبيان في إعراب القران للعكبري:٢:٥٦٣

هو معلَّق به من المصدر الذي هو الرجع، والظرف من صلته، والفصل بين الصلة والموصول الأجنبي أمر لا يجوز، فأذ كان المعنى مقتضياً له والإعراب مانعاً منه احتات له، بأن تضمر ناصباً يتناول الظرف، ويكون المصدر الملفوظ به دالا على ذلك الفعل..»[1]، تلحظ كيف تجاذب المعنى والإعراب، وجيء بما هو خارج عن التركيب «الفعل المضمر» ليُصحح الإعراب كونه لا ينسجم و هذه الحال مع اصل التركيب «إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر»، أن هذه النظرة تذهب بنا إلى ما عرف بقصدية الراوي اللغوي وما مدى ارتباطها بالمعاني الوضعية، إذ نلحظ موقع هذه المعاني بألفاظها الدلة عليها مبهمة من الناحية الإعرابية، ويمكن تحديد العلامة الإعرابية مع ما يتوائم والمعنى الذي قصده الواضع اللغوي، وندرك من ذلك أن دلالة التركيب محصورة بالمعنى الوضعي ليس إلا، كون علامات الإعراب لم تكن موجودة في اصل الوضع اللغوي لمثل تلك التراكيب، وقد حذر ابن جني من الوقوع في الخطأ في تقدير العلامة الإعرابية وتعارضها مع المعنى. قال: «إذا مرَّ بك سيء من هذا من أصحابنا فأحفظ نفسك منه، ولا تسترسل إليه، فأن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى، فهو ما لا غاية وراءه، وأن كان تفسير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت طريق تقدير الإعراب حتى لا يشذ شيء منهما عليك، وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه»[2]، فالإعراب يأتي في مرحلة ما بعد تفسير المعنى، إن طابقه فتلك هي الوجهة المطلوبة، وإن خالفه علينا تصحيح ما خالف به المعنى وتأوليه للوجهة الحسنة، وفي قول الرماني دليلٌ آخر على وقوع الإعراب بعدما أكتسب اللفظ دلالته، قال: «لا تنظر إلى ظاهر الإعراب، وتغفل المعنى الذي وقع عليه الإعراب»[3].

إنَّ النظر في طبيعة النصوص التي يراعى فيها الإعراب أو المواءَمَة بينه والمعاني

---

١. الخصائص:٢:٤٥٩

٢. الخصائص:١:٢٩٢.

٣. شرح كتاب سيبويه للرماني:٢:١٥، نقلا عن دلالة الاعراب:٤٩.

ودلالات النص، تكمن في النص المكتوب اكثر من المنطوق كون الأخير يكون اظهر من خلال النبر والتنغيم، وتجد أن اللغة المنطوقة «لغة التخاطب» تفتقر إلى مراعاة قواعد الإعراب في عملية التواصل اللغوي، أي أنَّ الرَّاوي اللغوي يترخص من استعمال تلك العلامات، والمُخُاطب يفهم ما قاله المَخِاطب «الرَّاوي اللغوي» لأن الأخير لا يمكنه بشكلٍ من الأشكال أن يستوعب تلك القواعد المتشعبة والدقيقة، فضلاً عن صعوبة التطبيق[1]، لان الأمر في ذا منوط بملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض والتنبه إلى اثر العامل بالمعمول وبيان حركة اقتضائه، وكل ذلك غير ممكن في لغة التخاطب، ويمكن أنْ نقصر هذا الفعل على من كان يتكلم على السليقة[2].

والدَّليل الأخر على علاقة الإعراب بالمعنى وكونه يأتي في مرحلة متأخرة بالنسبة للمعنى، قول أبن هشام يقول: «وأول واجب على المعرب أن يفهم ما يعربه مفرداً أو مركباً»[3]، أن هذا القول يفهم منه ويوظف في امرين:

الأول: عملية الإعراب وضبط الكلمات بتلك العلامات تكون في النص المكتوب، لان القول في ذا واضح، يقول: «الواجب على المعرب» وليس الواجب على المتلقي ان يبحث عن إسقاطات الراوي اللغوي في هذا الموضوع، علماً أن المعرب للكلام لابد أن يكون على معرفة بالقواعد النحوية عامة، وهذا لا يتسنى لشخص ذي ثقافة لغوية قاصرة.

أما الأمر الثاني، فيفصح عن أن الإعراب يكون في الكلمة المفردة، وهذا ما تحدثنا عنه سلفاً، أي أن الحركات الموجودة والملازمة للصوت الصامت من الكلمة المفردة تفصح عن دلالتها من خلال التغاير الحاصل في بنيتها الصوتية ولا سيما في حركة الصائت القصير، مثال ذلك: المبنى «نَكَدٌ» قيل هو كُلُّ شيء جرَّ على صاحبه شرَّاً،

---

١. يُنْظَرُ: دروس في علم الأصوات العربية:١٧٣.

٢. يُنْظَرُ: التطور اللغوي التاريخي:٥٦-٥٧.

٣. مغني اللبيب:١٦٥:٢.

و«نَكِدَ: عيشه، إشتدَّ، و «نِكِدَ الرجل»: قلل العطاء، وقيل في هذا المعنىٰ:

نَكِـــدتَ أبـــا زبيبـــةَ، إذ ســـألنا ولم يَنْكَـــد بحاجتنـــا ضـــبابُ[1]

والنَّكد والنُّكد مثله،

وأعطهـــما مـــا أعطيتـــه طيبـــاً لا خـــير في المنكـــود والناكـــد[2]

و«نَكَدَ: منعه، والنُّكدُ، النوق التي ماتت أولادها فغرزت[3] ومـن تلـك الألفـاظ ايضاً «نكس» يقال: «نَكَّسته» قلبته[4]، ونُكِسَ الرجل: ضعف وعجز، وقيل:

ولم ينـــتكس يومـــاً فُـــيظلمَ وجـــهُ لِيَمـــرضَ عجـــزاً أو يضـــارع مَأتمـــا[5]

و «نَكَسَ» رأسه: إذا طأطأه من الذل، قال الشاعر:

وإذا الرجـــال رأوا يزيـــدَ رأيـــتهم خضـــع الرقـــاب نـــواكس الابصـــار[6]

ويقال: نُكِسَ المريض: عاودته العلة، ونَكَسَتُ الخطاب: إذا أعدت عليه مرة بعد مرة[7].

إن طبيعة التحول في بنية الكلمة سواء كان علىٰ المستوىٰ الصرفي أم علىٰ مستوىٰ الزمن الذي تدل عليه من شأنه ان يترك تحولاً علىٰ مستوىٰ الدلالة، ومن الأمثلة التي يمكن ان نسوقها في هذا المجال قول المتنبي[8]:

وإني لأعشـــق مـــن عشـــقكم نحـــولي وكـــل امـــرئ ناحـــلِ

---

١. يُنْظَرُ: لسان العرب:٤٢٧:٣.

٢. يُنْظَرُ: كتاب العين:٤٢٨:٣.

٣. يُنْظَرُ: لسان العرب:٤٢٨:٣.

٤. يُنْظَرُ: كتاب العين:٣١٣:٥.

٥. يُنْظَرُ: لسان العرب:٢٤٢:٦.

٦. يُنْظَرُ: المصدر نفسه:٢٤١:٦

٧. يُنْظَرُ: المصدر نفسه:٢٤٣:٦

٨. يُنْظَرُ: التبيان:٢٢:٣.

يمكن رصد اتجاهين على مستوى الدلالة من خلال كلمة «اعشق)، فقد أجازوا ان يكون فعلاً مضارعاً، فيكون معنى البيت «إني من فرط عشقي لكم اعشق نحولي، واعشق كل عاشق مثلي ناحل مثل نحولي للمشاركة التي بيننا».

كما أجازوا ان يكون «اعشق» اسم تفضيل على وزن «افعل»، فيكون المعنى «إني اعشق لكم، أي: اشد عشقاً لكم من عشقكم نحولي، وكل فتى ناحل، يعني: أنكم تعشقون نحولي ونحول كل فتى هذه صفته»[1].

وغير خفي بعد المعنى المتولد من حسبان «اعشق» اسماً للتفضيل، إلا أننا يمكن ان نعده استغلالاً لإمكانات اللغة من قبل الشراح لتوليد ما امكن من الدلالات في النص.

وقال أبو الطيب أيضا[2]:

لـــــه أيـــــاد إلـــــيَّ سـابقـــــة أعـــــد منهـــــا ولا أعـددهـــــا

فمن الشراح من ذهب إلى أن الفعل «أعد» مبني للمجهول، فيتجه معنى البيت إلى ان الشاعر يقول للممدوح «انا غذي نعمته وربيب احسانه، فنفسي من جملة نعمه، فأنا اعد منها». أما من ذهب إلى ان «أعد» مبني للمعلوم، فيكون معنى البيت عنده ان الشاعر يعد بعض أيادي الممدوح عليه «ولا يأتي على جميعها بالعد لكثرتها»[3]، نلحظ التحول في بنية الكلمة يسهم في التحول الدلالي وهذا التحول يكون عن طريق التغاير في حركة الصامت من الكلمة سواء في فائها أو عينها.

وعوداً على ما ترشح عن نص ابن هشام والقول بلزوم فهم ما يعربه المعرب نلحظ ابتداء أن النص المقروء هو ملك لكل قارئ يجيد فعل القراءة، من هنا نجد الكتابة اكثر صعوبة لكثيرٍ من الناس، لان عملية الكتابة تستدعي الالتزام بالقواعد اللغوية «الصرفية والنحوية» والنسج على سمت العربية وقوانينها، فضلاً عن

١.معجز احمد:٢:٥٧.

٢.يُنظَرُ: التبيان:١:٣٠٤

٣.يُنظَرُ: النظام:٦:٤٣٤

الالتزام المعايير الفنية في عملية الكتابة لأن القارئ أو المعرب «في هذه الحال يمكنه أن يلحظ الإشارات السلبية التي تقف أمام قبول النص أو التركيب كونه تركيباً منحرفاً خارجاً عن قوانين اللغة.

أما المنطوق فالمتلقي لا يعول كثيراً على علامات الإعراب في فهم النص المنطوق، كونه يتجه في الأعم الأغلب إلى ما يعين على فهم النص ولاسيما النظر في دلالات الألفاظ الوضعية، فضلاً عن استعمالها المجازي في اللغة، لذلك تنحسر ملاحظات المتلقي في معالجته لبيان الفكرة المطروحة وطريقة التعبير بالألفاظ، ورصد ما يصاحب عملية القراءة من عيوب نطقية ظاهرة. وعلى الرغم من أن النص المنطوق اسبق من النص المكتوب، إذما تحدثنا عن العملية التواصلية، لان الالتزام بالقواعد اللغوية «الصرفية والنحوية» قد أوجدها اللغويون «النحويون» من خلال استقرائهم للغة المنطوقة، وأن الالتزام بعلامات الإعراب في النص المكتوب يفوق الالتزام بها في النص المنطوق، لان اللغة المنطوقة لا تعتمد الإعراب في بيان المعنى، بل ثمة بدائل تعين على فهم المعنى عن طريق الإيماء وتعابير الوجه وحركة اليدين ونبرة الصوت، لان اللغة ليست مجرد ألفاظ أو معانٍ بل فيها من الرمز والإيماء الشيء الكثير[1] ومثال على التغاير في العلامة الإعرابية سواء في النص المكتوب أو المقروئ نطرح قول الشاعر للتحليل:

قول المتنبي[2]:

تظل الطير منها في حديث ترد به الصراصر والنعيبا

وقد لبست دماءهم عليهم حداداً لم تشق لها جيوبا

فقد اختلف في تقدير وظيفة «دماءهم» النحوية، فمنهم من ذهب إلى النصب، ومنهم من ذهب إلى الرفع، فمن نصب جعلها مفعولاً به لفاعل مقدر يعود على

١. يُنظَرُ: دراسات في علم اللغة:٢٢.

٢. ديوانه:١:٢٩١

الطير، فيكون المعنى ان هذه الطير لبست دماء القتلى التي عليهم أي تلطخت بها وجفت عليها فاسودت وصارت كالحداد وهي الثياب السود تلبس عند المصيبة، ومن ذهب إلى رفع «دماءهم» على تقدير الفاعلية أراد أن الدماء اسودت على القتلى فكأنها لبست ثوباً غير ما كانت تلبس من الحمرة إلا أن المعنى في كلا التحليلين يفصح عن دلالة الإحداد على القتلى[1].

ومن النصوص التي تباينتْ فيها الوظيفة النحوية من خلال العلامة الإعرابية ولكن المعنى لم يتحول عن وجهة:

ألا ليت شعري هل إلى أم جحدرٍ سبيلٌ فأما الصبرُ فلا صبرا[2]

يلحظ رواية الشاهد بنصب «الصبر» ورفعه، وهذا الاختلاف في العلامة الإعرابية لم يغير في المعنى شيء، فالنصب حجازي والرفع تميمي[3]، وكذلك نلحظ الاختلاف في رواية الشاهد باختلاف العلامة الإعرابية، لأنها في هذا المورد أصبحت من المقاييس النقدية التي لجأ إليها النقاد في فحص النصوص الأدبية، ولا أرى لذلك معنى، كون الإعراب في تلك الحالات يخضع إلى التصويب النحوي من خلال التأويل، نلحظ نص الشاعر عقبه بن هبير الاسدي:

معاوي إننا بشر فأسجع فلسنا بالجبال ولا الحديدا[4]

قال سيبويه: «هذا باب ما يجري على الموضع لا على الاسم الذي قبله.. والوجهُ فيه الجرُّ لأنك تريد أن تُشرك بين الخبرينِ، وليس ينقض إجراؤه عليك المعنى...وجرى هذا مجراه قبل أن تدخل الباء..»[5]، وقيل إن المبرد ردَّ تلك الرواية على سيبويه، وقيل إن الأخير قد غلط على الشاعر، وقد احتج بهذا النص في نسق

---

١. التبيان:١٣٧:١

٢. يُنْظَرُ: كتاب سيبويه:٤٥٤:١.

٣. يُنْظَرُ: شرح الشاهد في شرح أبيات سيبويه:٢٦٩:١.

٤. يُنْظَرُ: الشاهد في كتاب سيبويه:٦٧:١.

٥. الكتاب:٦٧:١-٦٨.

الاسم المنصوب على المخفوض، وقيل إن سيبويه استثمر هذا النص والنصوص التي على شاكلته ليكون موافقاً للقاعدة النحوية، وهذا في حدِّ ذاته سببٌ في تغيير النصوص عن حالتها الأصلية[1]، والرغم من هذا الجدل في تغيير شكل النص من الخفض إلى النصب، لم نلحظ أي حديث عن دلالة النصب ودلالة الخفض، إلا يشعر ذلك أن لا خلاف في المعنى الرغم من تباين العلامات! فالمسألة في هذه الحال هي مسألة شكلية لا علاقة لها بالمعنى لذلك جوز سيبويه ذلك الاستعمال وجعله باباً يمكن القياس عليه ولا ينقض المعنى.

لذلك لا يمكن للقارئ أن يعول في البحث عن الدلالة النحوية عن الإعراب معولاً كاملا [2] كونه يحدد المعنى النحوي، وإنْ كانت الإفادة منه ممكنة إلى حدٍّ ما، لان علم النحو هو علم الدلالة، ومفهوم الدلالة يتحقق من تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني على وجهٍ من الوجوه المستعملة في لغة العرب بوصفها نصوصا معيارية، عبر عنها الجرجاني بالرسوم التي رسمت للمستعمل اللغة[3].

ومن الملاحظ أيضا، نجد أن العلامة الإعرابية يكون إقرارها في موضع ما من الكلمة «إذا قلنا بأنها تفصح عن المعنى ولاسيما في المعاني الصرفية» الذي يمثل البناء الخارجي لها، أما ما يعرف بموقها من التركيب فهذا لا علاقة له بالإعراب، كون مجاله البنية الداخلية للتركيب، ولا إجافي الحقيقة إذا قلنا إن هذا الأمر هو من يدفع بتقدير العلامة الاعربية فيما بعد، ويؤثر فيها بعد رصف المباني التي تشكل التركيب. ومن خلال النظر فيما روي عن القدماء من النحويين، نلحظ اعتمادهم موقع الكلمة «معناها» في توجيه علامات الإعراب وهذا ما يتضح اكثر في تقدير ما سقط من التركيب، بحيث يتعذر تمثيل تلك الاصناف المعنوية غير البنائية بألفاظ في البنية الخارجية، وثمة امر اخر في هذا الضرب من التراكيب، هو كون العلامة الإعرابية

---

١. يُنْظَرُ: قول عبد القادر البغدادي في خزانته: ٢:٢٦٠.

٢. يُنْظَرُ: وصف اللغة العربية: ٢٩٦.

٣. يُنْظَرُ: دلائل الاعجاز: ٤٢.

المتمثلة على كلمة ما تكون دليلاً على ما سقط من التركيب، وظل قاراً في البنية العميقة للتركيب، وعنه قال ابن جني: «أعلم أن هذا الشرج غور من العربية بعيد ومذهب نازح فسيح قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورا ومنضوما.. »[1] ومما جاء به القران: قواه تعالى: «بما أوحينا إليك هذا القران» يوسف:٣،قال الفراء: «هذا القران، منصوب بوقوع الفعل عليه كأنك قلت: بوحينا اليك هذا القران»[2]، وقوله تعالى: «أضغاث أحلام» يوسف:٤٤، بالرفع، لانهم ارادوا: ليس هذا بشيء إنما هي أضغاث أحلام، ولو قلت: رأيت أضغاثَ أحلام كان صوابا[3].

وأما ما نقل عن العرب نلحظ رفعَهم ما يُنصَبُ من المصادر على إضمار الفعل المتروك إظهاره في غير الدعاء، ونقل سيبويه قول العرب في نصبهم المصادر على إضمار الفعل يقولون «حمداً وشكراً ولا كفراً» «وإنما اختُزِل الفعل ههنا لأنهم جعلوا هذا بدلاً من اللفظ بالفعل، كما فعلوا ذلك في باب الدعاء»[4].

وجاء في كلام بعض العرب رفعُهم تلك المباني «وزعم يونس أن رؤبة بن العجاج –التميمي– كان ينشد هذا البيت رفعاً وهو لبعض مذحج وهو هنيّ بن أحمر الكناني:

عجبتٌ لتلك قضيةَ وإقامتي فيكم على تلك القضية أعجب[5]

وسمع عن بعض العرب الموثوق به يقال له: كيف أصبحتَ؟ يقول: «حمدُ الله وثناءُ عليه[6] ومثل ذا قول المنذر بن درهم الكلبي، سماعاً «من بعض العرب الموثوق به يرويه:

١.الخصائص:١٨٠:٢.

٢.معاني القرآن للفراء:٢٨:٢.

٣.يُنظَرُ: المصدر نفسه:٢٨:٢

٤. المصدر نفسه:٣١٩:١.

٥. المصدر نفسه:٣١٩:١، وهمع الهوامع: ١١٨:٣.

٦.يُنظَرُ: المصدر نفسه:٣١٩:١.

فقالت: حنانٌ ما أتى بك ههنا أذو نسبٍ أم انت بالحي عارف[1]

وحمل قوله على «أمرُنا حنان»[2] أو ما يصيبنا حنان[3]. ومثله قول الملبد بن حرملة من بني ربيعة بن ذهل بن شيبان البكري قال:

يشكو إلي جملي طولَ السّرُى صبرٌ جميلٌ فكلانا مبتلى[4]

وحمل هذا على صبرُ جميلُ أصلحُ من الشكوى[5]، تلحظ أن الرفع والنصب لايؤثر في المعنى النحوي لتلك التراكيب. ومن ذلك ما يجوز فيه الرفع مما ينصب في المعرفة: «وذلك قولك: «هذا عبدُ الله منطلقٌ» حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمّن يوثق به من العرب»[6].

وقد تمثل هذا الاستعمال بقراءة ابن مسعود عبد الله بن غافل بن حبيب الهذلي: «وَهَذَا بَعْلِي شَيْخٌ»[7] هود: ٧٢، والرفع في ذا على وجهين: الأول: إضمار هذا أو هو على إنه خبر لمبتدأ محذوف أي: هذا بعلي هو شيخٌ[8]، والوجه الثاني: أن يكونا جميعاً خبراً لـ«هذا»[9]، وقيل نصبه في ذا الموضع على الحال «من لطيف النحو وغامضه لأنك إذا قلت: هذا زيدٌ قائماً وكان المخاطب لا يعرف زيداً لم يجز لأنه لا يكون زيداً ما دام قائماً، فإذا زال ذلك لم يكن زيداً، فإذا كان يعرف زيداً صحّت المسألة والعامل

---

١. الكِتَابُ: ١:٣٢٠، الكشاف: ٣:١٠، همع الهوامع: ٣:١١١.

٢. الكتاب: ١:٣١٢٠، والمقتضب: ٣:٢٢٥، وارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي «ت ٧٤٥هـ.، تح: د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، ط«١. لسنة ١٤١٨-١٩٩٨: ٣:١٠٨٧.

٣. المصدر نفسه: ١:٣٢٠.

٤. الكِتَابُ: ١:٣٢١.

٥. شرح أبيات سيبويه: ١:٣١٨.

٦. الكِتَابُ: ٢:٨٣.

٧. المصدر نفسه: ٢:٨٣، معاني القرآن: ٢:٢، إعراب القرآن لأبي جعفر النحّاس: ٢:١٧٧.

٨. يُنْظَرُ: الكشاف: ٢: ٣٨٨.

٩. الكِتَابُ: ٢:٨٣.

في الحال التنبيه والإشارة»[1].

ومثله فيما رُفع في ذا الموضع قول رؤبة بن العجاج التميمي:

مـــــن يـــــكُ ذا بـــــتٍّ فهـــــذا بتـــي مقـــيظٌ مصـــيفٌ مشـــتي[2]

فجاء بثلاثة أخبار، مقيِّظ ومصيِّف ومشتِّي[3] وسجل سيبويه ذا الاستعمال سماعاً ممن سجله من العرب أي رفع المباني في ذا الاستعمال اللغوي، وقد ثبت هذا المروي من مسجلي سيبويه ولم تختلف الروايات فيما نقل عنهم[4]، ولاثر لهذا التحول في العلامة الإعرابية بالمعنى.

ونقل عن لغةٍ لطيء رفعَهم الاسمَ المعرفة الواقع بعد الأسماء المبهمة في النداء، على البيان قال سيبويه: «قال الخليل رحمه الله: إذا قلت: «يا هذا» وأنت تريد أن تقف عليه، ثم تؤكده باسمٍ يكون عطفاً عليه فأنت فيه بالخيار: إن شئتَ نصبتَ، وإن شئتَ رفعتَ، وذلك قولك: «يا هذا زيدُ» وإن شئتَ قلتَ: «زيداً» يصير كقولك: «يا تميمُ أجمعون وأجمعين...»[5].

والرفع في ذا الاستعمال لغة لطيِّء قال سيبويه: «وزعم لي بعض العرب أن يا هذا زيدٌ كثيرٌ في كلام طيء»[6]، وأينٍ فعلتَ نصبت أم رفعت، فلا يغير في الأمر شيء. ومن الاستدلالات الأخرى التي تفصح عن التغاير في العلامة الإعرابية والمعنى لا يتحول عن وجهةٍ ما روي عن بني تميم وبعض البكريين وأسد وهوازن رفعَهم الاستثناء الذي ليس من نوع المذكور قبله على البدل «الاستثناء المنقطع»، والحجازيون ينصبون ذلك، قال سيبويه في باب ما يُختار فيه النصب لأن الأخيرَ ليس

---

١. إعراب القرآن لأبي جعفر النحّاس: ٢:١٧٧.

٢. الكِتَابُ: ٢:٨٤ ويُنْظَرُ: الإنصاف في مسائل الخلاف: م(١٠٤.، ٢:٧٢٥.

٣. يُنْظَرُ: الأمالي الشجرية: ٢:٢٥٥، وهمع الهوامع: ٢:٥٣.

٤. الكِتَابُ: ٢:٨٤، الأمالي الشجرية: ٢:٢٥٥، الإنصاف في مسائل الخلاف: م(١٠٤.، ٢:٧٢٥، وبعد

٥. الكِتَابُ: ٢:١٩٢، يُنْظَرُ: ارتشاف الضرب: ٤:٢٢٠٢.

٦. الكتاب: ٢:١٩٢.

من نوع الأول[1]:«وهو لغة أهل الحجاز وذلك قولك: «ما منها أحدٌ إلاّ حماراً» جاءوا به على معنى: ولكن حماراً، وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول، فيصير كأنه من نوعه، فحُمل على معنى «ولكن» وعمل فيه ما قبله... وأما بنو تميم فيقولون: «لا أحدَ فيها إلاّ حمارٌ» أرادوا: ليس فيها إلاّ حمارٌ، ولكنه ذكر «أحداً» توكيداً لأنّ يعلم أن ليس فيها آدميٌّ ثم أبدل، فكأنه قال: ليس فيها إلاّ حمارٌ»[2].

وهذا ما يمثل بقول غيلان بن حريث التميمي:

لم يغذها الرسلُ ولا أيسارُها إلا طريُّ اللحم واستجزارها[3]

أبدل طريَّ اللحم من الرسل[4]، ومثله ما روي عن بعض بني تميم[5]، لقول النابغة الذبياني الغطفاني قال:

وقفت فيها أصيلانا أسائلها عيَّت جوابا وما بالربع من احد

إلا أواري لايا ما ابينها والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد[6]

والمبرد يرى أن الوجه في ذا النصب وهو إنشاد أكثر الناس[7] وعلة النصب في ذا أن الإبدال لا يصح فيه من جهة أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه[8]. ومثل ذلك إنشادهم قول عمرو بن الأيهم، رفعاً، أنشدوا:

---

١. الكِتَابُ: ٢:٣١٩.

٢. المصدر نفسه: ٢:٣١٩-٣٢٠.

٣. المصدر نفسه: ٢:٣٢٤، والشاهد منسوب في شرح أبيات سيبويه: ٢:١١٠.

٤. شرح أبيات سيبويه: ٢:١١٠.

٥. الكِتَابُ: ٢:٣٢٠.

٦. المصدر نفسه: ٢:٣٢١، والمقتضب: ٤:٤١٤.

٧. المقتضب: ٤:٤١٤.

٨. شرح الكافية: ٢:٦٩، وشرح التصريح: ١:٥٤٧.

لـــيس بينـــي وبـــين قـــيس عتـــابٌ غير طعـن الكـلى وضرب الرقـاب[1]

إن إنشاد بني تميم لهذا الكلام على البدل يفصح عن طبيعة اللغة التي يتحدث بها. وما جاء على البدل من غير تميم قول الحارث بن عباد بن ضبيعة:

والحـــــرب لا يبقـــــى لجـــــا حمهـــــا التخيـــــل والمـــــراح
إلا الفتـــــى الصـــــبار في النـــــ ـــــنجدات والفـــــرس الوقـــــاح[2]

ومثله قول ضرار بن مالك بن أوس بن خريمة الأسدي:

عشـــية لا تغنـــي الرمـــاح مكانهـــا ولا النبـــل إلا المشرـــفي المصـــمم[3]

إذ جاء هذا القول في قافية مرفوعة. لضرار بن مالك الأسدي قالها في يوم الردة[4]، وقد ورد الشاهد نفسه في قافية أخرى منصوبة للحصين بن الحمام السِّري[5]. ومثل ذا قول عامر بن الحارث:

وبلـــــدة لـــــيس بهـــــا أنـــــيسُ إلا اليعـــــافرُ وإلا العـــــيسُ[6]

ونقل لنا قول النابغة الذبياني الغطفاني الذي تمثل قوله بلغة أهل الحجاز قال:

حلفـــت يمينـــا غـــير ذي مثنويـــة ولا علم إلا حسـن طـنٍ بصـاحب[7]

روى سيبويه هذا القول نصباً، إذ نصب ما بعد «إلاّ» على الاستثناء المنقطع لأن حسن الظن ليس من العلم، وقد ورد هذا رفعاً على البدل في خزانة الأدب[8]، وهذا

---

١. الكِتَابُ: ٢:٣٢٣.
٢. الكِتَابُ: ٢:٣٢٤.
٣. الكِتَابُ: ٢:٣٢٥، والشاهد منسوب في شرح أبيات سيبويه: ٢:١٢٨، وخزانة الأدب: ٣:٣١٨.
٤. يُنْظَرُ: المصدر نفسه: ٢:٣٢٥. خزانة الأدب: ٣:٣١٨-٣٢٣.
٥. خزانة الأدب: ٣:٣١٨-٣٢٣.
٦. الكِتَابُ: ٢:٣٢٢، و يُنْظَرُ: شرح التصريح: ١:٥٤٧.
٧. المصدر نفسه: ٢:٣٢٢، وشرح أبيات سيبويهَ: ٢:٥١.
٨. يُنْظَرُ: خزانة الأدب: ٣:٣٢٧.

ما يتناسب مع ما سجله سيبويه للنابغة• فيما أجري على البدل في لغة تميم. ومن المسائل النحوية التي تباينت فيها العلامة الإعرابية والمعنى واحد

جراء بعض بني أسد «لا» النافية للجنس النصب في المعرفة مجراها في النكرة.

قيل إن المعارف الواقعة بعد «لا» التي للجنس لا تجري مجرى النكرات في باب «لا» النافية للجنس؛ لأنها لا تعمل في المعرفة، وما وقع ذا الموقع يؤوَّل على النكرة أو يكون على حذف المضاف[1]، وقد تمثل استعمال «لا» النافية للجنس الداخلة على المعرفة بقول رجل من بني دبير[2]:

لا هثـــــيم الليلـــــة للمطـــــي[3]

ومثله قول عبد الله ابن الزَّبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة الأسدي[4]:

ارى الحجـــات عنـــد أبي خُبيـــبٍ نكـــــدن ولا اميـــــة بـــــالبلاد[5]

إن ما قيل في ذا الموضع ظاهرٌ إعمالها في المعرفة وهذا ما ثبت بالنقل عن العرب، ومثله ما نقل عن رسول الله «ص»، قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصرَ بعده»[6].

وقد تأول النحويون قول الزبير في «ولا أميةَ في البلادِ» قالوا: «فليس كما قال،

• يرى الدكتور عبد العال سالم مكرم أن مرجع الخلاف في نصب قول النابغة راجع إلى الخلاف القبلي في رواية الشاهد بين التميمين والحجازيين. يُنْظَرُ: قوله مفصلاً في شواهد سيبويه من المعلقات في ميزان النقد: ١٠٣-١٠٥.

١. يُنْظَرُ: الكتاب: ٢:٢٩٦، والمقتضب: ٤:٣٦٢-٣٦٣، وشرح جمل الزجاجي: ٢:١٦٦.

٢. يُنْظَرُ: الدرر اللوامع على همع الهوامع: ٢:٢١٣، وخزانة الأدب: ٢:٥٩.

٣. الكتاب: ٢:٢٩٦، الأصول في النحو: ١:٣٨٢،

٤. يُنْظَرُ: المصدر نفسه: ٢:٢٦٤، ٤:٦١ وشواهد الشعر في كتاب سيبويه: ٢٨٤.

٥. الكتاب: ٢:٢٩٧، و يُنْظَرُ: الأمالي الشجرية: ١:٢٣٩.

٦. يُنْظَرُ: ارتشاف الضرب: ٣:١٣٠٧.، همع الهوامع: ٢:١٩٥.

لأن الشَّاعر إنما أراد: لا أمثالَ أميةَ ولا من يسدُّ مسدَّها... »[1] وكذلك أجروا ذلك على القول الأول: لا هيثمَ الليلةَ قالوا: «لا مُجرىً ولا سائقَ كسوق هيثم»[2]، إلا إن العمل والقول بظاهر النص أقوى من الإرادة التي نسبوها إلى الشاعر أو التقول بلسان الراوي اللغوي وإن كانتا من حيث تفسير المعاني والتراكيب أدخل في تحديد القواعد النحوية، وإذا ما أخذنا بهذه التأويلات نجد أن المباني قد أخذت موقع ما كان أصلاً في التركيب وسدّت مسدَّه حكماً ومعنىً، وهذا ما يعود بنا إلى ظاهر النَّص، لتحقق من اصل العلامة الإعرابية

وبعد عملية التحقق والربط اللغوي بين المعاني والألفاظ وعلاقتها بالعلامات الإعرابية، نلحظ أن عمليات الربط بين مكونات تلك التراكيب سواء في النص المنطوق أو في النص المروي أو المكتوب، تقوم على شبكة من العلاقات المنطقية عبر العناصر اللغوية التي مثلت تلك التراكيب، وهذا ما دعى سيبويه ومن جاء بعده وحذا حذوه إلى اعتماد الأساس المعياري المتمثل بالكفائة اللغوية، فضلاً عن اعتماده الصورة الثانية للتركيب التي وصفت بأنها لغة لقومٍ ما وخالفت، أو كانت صورة أو نمطا ثانياً في الموضوع والمعنى نفسه لكن التغاير قد تمثل في العلامات التي لم تغير من دلالة تلك التراكيب شيئاً، والى جانب ذلك كله، ندعوا مستعمل اللغة في اقتفاء الأثر اللغوي في كيفية نسج التَّراكيب النحوية التي تنسجم مع الواقع اللغوي بغض النظر عن توظيف علامات الإعراب التي لا تفصح عما سقط أو حذف من التراكيب، كونها لا تكون دليلاً على المعنى، لأنها قد تمثلت بحركتين مختلفتين «حركة الرفع + حركة النصب»، والمعنى لا يتنازع أي منهما كون المعنى والدلالة قد اتضحتْ من خلال المباني «الألفاظ» في النص المكتوب، أما المنطوق فإلى جانب الألفاظ ثمة دلائل تفصح عن المعاني والدلالات، أما طبية تلك الحركات ومكانها في الحقل اللغوي، فيتضح ذلك إذا ربطنا الأمر بتحديد علامات الإعراب كونها تفصح

---

١. المقتضب:٤:٣٦٣، الأصول في النحو:١:٣٨٢-٣٨٣.

٢. يُنْظَرُ: شرح الكافية:٢:١٣٦

عن المعنى «سواء المعنى النحوي أم المعنى الصرفي»،ومن هنا نقول إن علامات الإعراب لا يمكن أن تكون الحركات الموجودة في أواخر المباني في التراكيب اللغوية، بل تلك الحركات الموجودة في «فاء الكلمة، وعين الكلمة» كونها تفصح عن دلالة اكبر وتميز بين المباني المتماثلة في الهيأة والشكل، ولا أُبالغ أذا قلنا إنَّ الإعراب بدلالته منوط بالمباني الصرفية دون غيرها، كونه الأساس في عملية الإبداع والابتكار اللغوي.